

مقاومة الاستبداد بين الشعرين: العربي والأردني

Renitency of Despotism in Modern Arabic & Urdu Poetry

د. عبيد الرحمن السيلكوتي*

ABSTRACT

A huge part of the poetic and prosaic production of all the major literatures contains such example that have been written in the form of poetry defending the rights of despoiled people and challenging the power and despotism of the rulers. These workings are worth of study because they contain a sublime human message, a concessionary thinking, a moral depth and a fascinating impact on the hearts/minds of the public at large. These messages were accepted by the common people and won their hearts because it was a literature of meaningful message and determination and not a literature of adulation and humiliation.

in the twentieth century, the Urdu literature honored with the presence of big names such as Faiz Ahmed Faiz, Habib Jalib, and Ahmed Faraz, Their rose their voice with all its strength against the manifestations of all kinds of despotism especially the political despotism in their societies and countries and enriched the literature of despotism. In the Arabic literature, poetry of renitency to despotism grew stronger, became handsome and improved headed by Ahmed Mater from Iraq, Mohamed Mehmood Al-Zubairy from Yemen, and others. Among the incentives of this research work, one is the beauty, strength and steadfastness of the literature Renitence despotism. It is a literature that attained immortality and survival and thus fitted with every time and place because the tragedy is repeated in the same form and the message appears with the same force. For example, the Urdu poems that were written in the times of dictatorship in seventies and eighties of the twentieth century are still valid and suit our environment and as narrated and sung with the same power and interest. This research work aims at the for the points of convergence and similarities between Arab and Urdu poets in the field of political poetry in general and the Poetry of Renitency to Despotism in particular and compare the technical and thematic characteristics of the poetry the poets of both the languages have been made besides describing the individual and common features that they have.

Keywords: *Renitency, Despotism, Dictatorship, Fazi, Jalib, Zubairi, Matar*

* عضو هيئة التدريس بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد

مفهوم الاستبداد وتاريخه

الاستبداد^(١) مأساة إنسانية قديمة ولها تاريخ موغل في القدم، تظهر بألوان عديدة وتكرر بأشكال مختلفة، وتعاني منها الإنسانية منذ قديم الزمان وما زالت تعاني في العصر الحديث وإن خفت حدة الظاهرة في العصر الحاضر بفضل الأنظمة الديمقراطية وتقارب الأمم والاتصال السريع والوعي السياسي اليقظ لدى الشعوب والأفراد. والاستبداد "هو أحد أشكال الحكم يتولى السلطة العليا فيه ملك أو جماعة صغيرة بمقتضى دستور أو بدونه، ويتميز بالسلطة غير المحدودية أو الاستبدادية"^(٢). والحكومة الاستبدادية هي الحكومة التي لا تخضع في ممارستها لسلطة القانون أيا كان مصدره، فالحدد الأول والأخير لوسيلة الحكم وعلاقة السلطة بالفرد هو الحاكم صاحب السيادة الوحيد. فلا توجد في ظل الحكومة الاستبدادية حريات حقيقية لأن الاستبداد يؤدي إلى إنقاص بل إهدار الحريات"^(٣).

ومن فطرة الله في الكون والخلق أنه لا يوجد استبداد وإلا تظهر معه المقاومة، لأن النفوس لا تقبل الجور والظلم فتثور عليه ولذلك اقترنت المقاومة بالاستبداد منذ بداية التاريخ البشري. وكما نعرف أن "الشعر ارتبط منذ بداياته بتصوير معاناة الإنسان والتعبير عن مكونات وجدانه والكشف عن مستور خلجاته"^(٤)، فيجد الدارس لجميع الآداب الكبرى أن قدرا كبيرا من المادة الأدبية كان وليد التقلبات السياسية والتغيرات الحكومية، وكذلك شأن الأدبين العربي والأردني فنشأ كم كبير منهما في قصور الحكم وفي صحبة الملوك والخلفاء والوزراء والأمراء وإثر حروب ومعارك واشتباكات. ففي حين تروي لنا كتب الأدب قصصا كثيرة عن اكتساب الشعراء المرتزقين هبات وعطايا من الملوك ثمن تملقهم ومبالغتهم في مدحهم تروي لنا كذلك قصص شعراء ذهبوا ضحية شعرهم لاختلاف الرأي ومعارضتهم للسلطين والملوك، لأنهم -على العكس من الشعراء المتواردين على أبواب الملوك والخلفاء والوزراء- لم يبيعوا كلمتهم

(١) تتضمن كلمة "الاستبداد" في المعاجم اللغوية والموسوعات السياسية المختلفة مدلولات متقاربة مثل الحكم بلا زمام والقوة المطلقة وسلب الحرية وغصب الحقوق الفردية واحتكار شيء وغيرها، انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان. الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ، ٨١/٣ و مجموعة من الباحثين، الموسوعة الفقهية، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت. ٣، ١٤٢٥ هـ، ١٦٦/٣ وكذلك: لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، ط ٢١، ١٩٧٣، مادة (ب دد)، ص: ٢٨

(٢) بدوي، أحمد زكي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، ط ١٩٩٧ م، ص: ٣

(٣) الخطيب، نعمان أحمد، الوسيط في النظم السياسية والقانون الدستوري، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة

السابعة، ١٤٣٢ هـ/ ٢٠١١ م، ص: ٢١٣

(٤) العطوي، مسعد بن عيد، تأملات في الشعر العربي المعاصر، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط ٢٠١٤ م، ص: ٥

وفنهم وحریتهم بثمان بئس بل أدركوا كرامة فنهم فاتخذوه سلاحاً لإعلاء كلمة الحق ضد الاستبداد والظلم والجور غير مباليين بما ألقى عليهم من ألوان التعذيب من النفي والقتل والأسر والضرب وغيرها. ونظراً إلى أهمية هذه التيار الشعري المناهض للطغيان ودوره العظيم في التوجيه الفكري لدى الشعوب تستهدف هذه الدراسة إبراز ما يلي من النقاط المهمة:

التمهيد، وفيه مفهوم الاستبداد وتاريخه

١- من أسباب ظهور المقاومة الشعرية

٢- الشعر الأردني المقاوم وريادته

٣- المقاومة في الشعر العربي المعاصر وريادته

٤- تقسيم موضوعات الشعر المقاوم إلى أربعة أنواع

النوع الأول: الموضوعات المتعلقة بمعاناة ضحايا الاستبداد

النوع الثاني: الموضوعات والقضايا المتعلقة بالقوة المستبدة

النوع الثالث: الموضوعات والقضايا المتعلقة بالقوات المساعدة للاستبداد

النوع الرابع: الموضوعات والقضايا المتعلقة بالشعوب التي تعاني مأساة الاستبداد

٥- بعض خصائص شعر المقاومة

٦- الخاتمة

٧- النتائج

أولاً: من أسباب ظهور المقاومة الشعرية

في النصف الثاني من القرن العشرين وبعد تحرر معظم البلاد الإسلامية وإقامة حكومات محلية بعد انصراف الاستعمار وتحولها إلى الحكومات المستبدة تكاثف شعراء العرب وشعراء الأردن مع الحركات الشعبية ضد الاستبداد والديكتاتورية وأسهموا في إيقاظ الوعي الإنساني العام لدى جميع الطبقات ونفخوا فيها روح الحماس وألهبوا نار الغيرة، وهذا وفر لنا باباً مستقلاً باسم أدب "مقاومة الاستبداد" أو "أدب الثورة" أو "شعر اجتماعي" أو "شعر سياسي" كما شاع في الأدب العربي أو كما عرف في الأدب الأردني باسم "مراثي أدب" (أدب المعارضة أو الأدب المقاوم). ولعل المصطلح الأردني يناسب الغرض أكثر من المصطلح العربي الذي فيه نوع من الاتساع، فقد يمتثل "الأدب السياسي" شعراً غير شعر المقاومة بما فيه شعر مديح الحكام وشعر الوقائع والأحداث والمناسبات السياسية وغيرها. ويجب ألا يغفل عن أننا أن أدب المقاومة بصفة عامة قد يعنى به "الأدب الذي يصور مقاومة الشعوب للاحتلال والاستعمار"^(١) إلا

(١) نواف نصار، المعجم الأدبي، دار ورد للنشر والتوزيع، أردن، ط١، ٢٠٠٧م، ص: ١١

أن المقاومة عندما تكون ضد الاستبداد المحلي أو ديكتاتورية الحكام فحينئذ يستخدم في الأدب العربي مصطلح "الأدب السياسي" أو "أدب الثورة" تعبيراً عن هذا النوع من المقاومة التي تتخذ من مظالم الحكومة ومحازي الحكام موضوعه الأساسي، وتستخدم كلمات مثل "شعر سياسي" أو "شعر اجتماعي" لهذا اللون الشعري.

ثانياً: الشعر الأردّي المقاوم وريادته

سرى عدد كبير من شعراء الأردية ركبا متحدا قاصدا نحو هدف واضح وواعيا بوعورة الطريق ومخاطره ومستعدا لأي تضحية من أجل مقاومتهم، وبفضلهم أصبح المقاومة الشعرية الأردية للاستبداد سجلا مفتوحا يصف مظاهر الاستبداد ومآسيه بدقة، ومجها قويا يزيل الستار عما دبر من مكاييد ضد الشعوب المستكينة في عصور الاستبداد، ووصفة ناجحة تشخص مواضع هذا الداء العضال وتصف علاجا لقمعه والتخلص منه. ولا يتنازع اثنان في أن الريادة في الشعر الأردّي المقاوم لثلاثة شعراء كبار، على رأسهم الشاعر الرومانسي ذي النعمة الهادئة فيض أحمد فيض^(١) والشاعر الثوري صاحب الصرخة الاحتجاجية المتعالية حبيب جالب^(٢) وشاعر الشبان أحمد فراز^(٣). وحوى شعرهم موضوعات عديدة تتعلق بالشعب الباكستاني الذي عانى مأساة الاستبداد في فترات متتالية كما كشف عن جوانب عديدة لمدى مسئولية الشعب نفسه في جر وبال الاستبداد على نفسه وأناروا درب الكفاح وطريق الأمل أمامه.

وأول ما يلمحه الدارس خلال دراسة الشعر الأردّي المقاوم مظاهر الخوف المسيطر والذعر المنتشر والقسر السائد على أجواء البلاد بكل شدتها، وتتجلى صور عديدة تنبئ عن الأحوال النفسية والفكرية والأمنية والعملية التي سادت خلال عصور الاستبداد. ورسم شعراء المقاومة صورا مخزنة لمعاناة شعبهم خلال فترة الاستبداد، إذ يجرب المستبد كل أساليب الظلم المبتكرة لتخويف معارضيه وكبح صوت الحرية، ويحاول إعادة أذهان شعبه الحر إلى زمن الرق وينزل عليه من أجل ذلك كل هوان، فجاء نعيمهم

(١) ولد عام ١٩١١م بمدينة سيالكوت، تعلم في مدينته العلوم مبادئ العلوم الدينية واللغة العربية، وحصل على شهادة بكالوريوس الشرف في اللغة العربية فضلا عن ليسانس الشرف ثم حصل على شهادتي الماجستير في اللغة العربية واللغة الإنجليزية. وتوفي سنة ١٩٨٤م. إشفاق حسين، "فيض أحمد فيض، شخصيت اور فن" (فيض أحمد فيض: الشخصية والفن)، بالأردية، أكادمي ادبيات پاکستان اسلام آباد، (أكاديمية الأدب بباكستان، بإسلام آباد)، ط ٢، سنة ٢٠٠٨م، ص: ١٣ وما بعدها (باختصار)

(٢) طاهر أصغر، "جالب بيتي"، بالأردية، (سيرة جالب بلسان جالب)، الناشر: جنگ پبلشرز، لاهور، باكستان، ط ١٩٩٣م، ص: ١٢٩

(٣) مجموعة من الباحثين، "انسائيكلوبيديا ادبيات عالم"، بالأردية، (موسوعة الآداب العالمية)، إصدار: أكادمي ادبيات پاکستان اسلام آباد، (أكاديمية الأدب بباكستان، بإسلام آباد)، ط ١، ٢٠١٣م، ص: ٨٠٩

على هذه الأحوال التي حلت بالوطن بنغمة حزينة مشتركة رسمت لنا قساوة الأوضاع في العهود الاستبدادية فجزعوا وشكوا دون أن يفلت من أيديهم خيط الأمل أو يغلبهم نوع من اليأس كما نجد كل شاعر مقاوم ينسى همومه الشخصية الذاتية ويدخل المعترك السياسي بسلاح الشعر ودرع القصيدة يهاجم عدوه المستبد ويدافع عن شعبه المستغيث المستكين ويعبر عن تطلعات الشعب وآماله ويصور المعاناة المزوجة للشعب. ويتألم لما يرى ويحزن لما يشاهد فلا يملك نفسه إلا ويصرخ في وجه المستبد يتحداه بكل قوة وشدة. والتوافق المعنوي والتشابه الصوري بين شعراء المقاومة جلي باد لا يحتاج البحث عنه إلى جهد كثير.

ثالثاً: المقاومة في الشعر العربي المعاصر وريادته

أما الأدب العربي فمصطلح "أدب المقاومة" معروف فيه تعبيراً عن كفاح وجهاد الشعراء والأدباء ضد القوى المستعمرة والاحتلة، أما مقاومة الاستبداد المحلي فإلى الآن لم يظهر ولم يستقر له مصطلح مستقل وعادة يطلق على هذا اللون من الأدب "الأدب السياسي" بمفهومه الواسع الذي يضم كل ما فيه من شعر المناسبات ومدح الحكام والاختلاف عنهم وغيرها من الموضوعات، ولا يعني غياب المصطلح أو عدم الاتفاق عليه غياب الشعر العربي في هذا الباب، بل ما طبع منه هو كثير، وما لم يظهر بعد هو كثير كذلك، ومن المنشور ما طبع فوراً ومنه ما أجل نشره من أجل الالتقاء من مخاطر معلومة.

وهناك ثلاثة شعراء عرب كانوا على رأس قائمة الشعراء الذين عرفوا بلهجتهم الثورية وشعرهم المقاوم في الأقطار العربية الثلاث مصر في الفترة بعد انصراف الاستعمار، ويعتبر الشاعر اليمني أبو الأحرار محمد محمود الزبيري^(١) أعلى صوت ثوري ضد الاستبداد الذي حل بأرض اليمن، قضى حياة مليئة بكفاح سياسي مصحوبة بمقاومة شعرية مؤثرة. وقف معظم شعره لقضيته الكبرى، حرية بلاده وشعبه، فأوجد لنفسه مكانة متميزة في الشعر العربي اليمني^(٢)، وهو رائد الحركة الإصلاحية اليمنية وداعية السلام والحرية

(١) محمد بن محمود الزبيري، سياسي، شاعر ناثر، من صنعاء، ولد سنة ١٩١٠م، له ديوانان، "ثورة في الشعر" و"صلاة في الجحيم"، وكتب أخرى صدرت بعد وفاته، واغتيل سنة ١٩٦٥م. محمد خير رمضان يوسف، معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع منها أو حقق بعد وفاتهم، (النسخة الإلكترونية)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص: ٧٠٨.

(٢) هيئة المعجم، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ط ١، ٢٠٠٨م، ٨٣/١٩.

والعدالة في تاريخ اليمن المعاصر^(١) وعلق اسمه بذاكرة التاريخ مقرونا بأول معارضة لحكم الإمامة في اليمن ثم انقلاب ١٩٤٨م وبأول عمل صحفي حر في اليمن ثم انقلاب ١٩٥٥م^(٢)، وأخيرا كمن فمه بعد ما قتلته يد مجهولة، وأذاب الزبيري حقا حياته في شعره كما ذاب شعره في حياته حتى لا يمكن الفصل بينهما^(٣). وأخرج اليمن من عزلتها وأزمتها بشعره وبكلمته، رافضا كل أنواع العروض والمغريات لأنه يؤمن بأنه: البسيط

وليس يُجدي دَفينًا، أنْ حَفَرْتَه

مُردانة طَفَحَت بِالْعُطَر والعُود^(٤)

والشاعر الشاب الشهيد هاشم الرفاعي^(٥) (١٩٣٥م - ١٩٥٩م) من أولئك الشعراء الذين لم يمنحهم القدر فرصة كافية وطويت صفحة حياتهم بسرعة مثل الشابي فقد اغتيل وهو في السن الرابعة والعشرين من عمره. وكان في تجاربه الشعرية الدينية يحاول استنهاض العزائم حتى تعود الأمة الإسلامية كما كانت في عهدها الذهبي قوة عزيزة المنال لها صوتها وهيبتها ومكانتها^(٦). وديوانه "جراح مصر" هو ذلك العمل الشعري الذي يفصح عن اختلاجات الشاعر في العهد الذي عاشه والمأساة التي حلت بمعارضتي الحكومة ومطالبها بحرية الرأي عن التعبير، ويقال إن الشاعر قالها سريرا ولم ينشرها باسمه في حياته وكان أخوه هو الذي نشرها بعد قتله ولم يفعلوا ذلك إلا خوفا بتنكيل الحكام به وإلحاق أضرار بأسرته. ويضم الديوان المذكور عشر قصائد تصف الأوضاع في ذلك العهد وتصور المأساة التي ابتلى بها الشعب المصري في تلك الفترة. وخير ما يلخص فكره الشعري هو بيته: الكامل

(١) المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع، صنعاء، الجمهورية اليمنية والمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت. ط ١٤٢٢هـ، ١/٧٣٦

(٢) الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥٥، مايو ٢٠٠٢م، ٧/٩١. وانظر: المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، ص: ٧٣٦

(٣) الزبيري، محمد محمود، مقدمة ديوان الزبيري، دار العودة، بيروت، لبنان، ط ١٩٨٦م، ص: ١٣

(٤) المرجع السابق، ص: ٢٨٨

(٥) سيد بن جامع بن هاشم بن مصطفى الرفاعي، كان ينتمي إلى أسرة دينية وعلمية. انظر: معجم المؤلفين، تراجم مصنفين الكتب العربية، تأليف عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت. ط ١/ سنة ١٤١٤هـ، ص: ٥١/٤ وانظر: هيئة المعجم، معجم البابطين، ٢١/٤٦٥. وانظر: الرفاعي، هاشم، ديوان هاشم الرفاعي، جمع وتحقيق: محمد حسن بريغش، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط ٢، ١٤٠٥هـ، ص: ١٦

(٦) د. صابر عبدالدايم، الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط ١، ١٤٢٢هـ، ص:

كُلُّ الَّذِي أُدْرِيه أَنْ يَجْرُعِي
كَأَنَّ الْمَدْلَّةَ لَيْسَ فِي إِمْكَانِي^(١)

والشاعر أحمد مطر^(٢) أشد صوت ثوري مدوي في العالم العربي منذ أربعة عقود باستمرار يرسم معاناة الشعوب العربية بأدق تفاصيلها ويهجو الأنظمة الحاكمة المستبدة بلهجة صارخة وساخرة وصور بالغة في الهجاء والنقد، صاغ من شعره سيفه الذي يشق به صدر الطغاة المستبدين. شعره تلك المرأة الصافية التي تعكس لنا صورا واضحة لمآسي الاستبداد القابع على الأراضي العربية دون تغيير وتحريف. دفع ثمن جرأته فُني من الكويت ولما ضاقت به أرض البلاد العربية أمن له العيش بلندن حيث يقيم منذ ثلاثة عقود أخيرة^(٣)، عمل في مجال الصحافة واستقال لشعوره باحتناق نفسه في أجوائها الضيقة. والحرية هي الفكرة الوحيدة التي تسود دواوينه كلها، وذلك سمي حقا "شاعر الحرية" وسماه آخرون بـ"ملك الشعراء".

ولكشف خبايا الاستبداد ورزاياه أكثر في شعره استخدمه لصور ساخرة وعبارات بالغة في الهجاء وتناوله لقضايا لم يجرؤ أحد غير مطر على إثارتها والتنبيه إليها، فهناك من سماه "شاعرا ساخرا" دون أن يحط هذا اللقب من قيمة شعره. فالحكم على الشاعر أحمد مطر بالمبالغة في النقد والاستهزاء بالحكام لا يخلو من الصدق لوجود عشرات بل مئات الأمثلة الشعرية لذلك غير أنه لا يمكن للقارئ إهمال هذه الصور والتهاون بها بمجرد هذا الحكم لأنها صورت فيض الحقائق المؤلمة التي لا يمكن لأحد رفضها والهروب منها، وتحاول الحكومات المستبدة دائما إخفائها وخاصة فيها غير قليل من القضايا التي لم يجرؤ أحد غير مطر في إثارتها والتنبيه إليها.

ولا يستقيم أمر الأفراد والمجتمعات في رأي أحمد مطر إلا بمعيار العدل، ولا يمكن التعويض عن خسارة العدل بأي مظهر من مظاهر التقى والصلاح:

لَنْ تَقْوَى عِنْدِي بِالتَّقْوَى - وَيَقِينُكَ عِنْدِي بُهْتَانُ
إِنْ لَمْ يَعْتَدِلِ الْمِيزَانُ - شَعْرَةُ ظُلْمٍ تَنْسِفُ وَزَنَكَ
لَوْ أَنَّ صَلَاتَكَ أَطْنَانُ - الْإِيمَانُ الظَّالِمُ كَافِر

(١) الرفاعي، ديوان هاشم، قصيدة "رسالة في ليلة التنفيذ"، ص: ٣٦٠

(٢) أحمد مطر، شاعر عراقي معاصر، ولد في البصرة في مطلع الخمسينيات من القرن الماضي، وهو مستقر حاليا في لندن بعد سلسلة النفي التي واجهها بسبب شعره المعارض الذي تميز به حتى الآن. الوحش، مُجد موسى، موسوعة أمراء

الشعر العربي، دار دجلة للنشر والتوزيع، ط ٢٠٠٨م، ص: ١٠٩

(٣) المرجع السابق

والكفر العادل إيماناً - هذا ما كتب الرحمن^(١)

رابعاً: تقسيم موضوعات الشعر المقاوم إلى أربعة أنواع:

وتشابهت آراء شعراء المقاومة العرب والأردنيين في قضايا عديدة وتقاربت أساليبهم وحتى كلماتهم في بعض الأحيان تعبيراً عما يتعلق بهذه القضايا. ويمكن تقسيم الموضوعات والقضايا التي دار شعر المقاومة العربي والأردني حولها إلى أنواع أربعة رئيسة وهي كما يلي:

النوع الأول: الموضوعات والقضايا التي تتعلق بمعاناة ضحايا الاستبداد، أفراداً وجماعات وقبائل في العهود الاستبدادية.

النوع الثاني: الموضوعات والقضايا التي تتعلق بالقوة المستبدة كانت فرداً أو طائفة كالجيش المحتل المستبد أو أسر معينة أو طبقات معينة.

النوع الثالث: الموضوعات والقضايا التي تتعلق بالقوات التي تمد الاستبداد بعونها وهي تتمثل في أفراد وجماعات وأحزاب وطبقات ومؤسسات.

النوع الرابع: الموضوعات والقضايا التي تتعلق بالشعوب المسكينة التي تعاني مأساة الاستبداد لحقبة قصيرة أو طويلة.

النوع الأول: الموضوعات المتعلقة بمعاناة ضحايا الاستبداد

وأكثر الشعراء المقاومون من تصوير ما عاناه ضحايا الاستبداد في العهود الاستبدادية ووصفوا مرارة العيش التي ذاقوها على يد المستبدين الطغاة. ويدخل بنا هذا النوع من الشعر في غياهب السجون والزنايات والمعتقلات وغيرها من أماكن التعذيب حيث رسم الشعراء أحوال المعذبين القاسية في شكل أبيات كثيرة وقصائد كاملة، كما تجلت مآسي المفقودين الذين اختطفتهم القوات الأمنية التابعة للطغاة المستبدين فذهبت آهاتهم سدى في الأجواء دون أن يعثر على أثر لهم. كشف أحمد مطر في قصيدة عن حقيقة تزييف أسباب موت الذين تختطفهم أيد سرية لاشتباكات ثم يعثر على جثثهم مرماة في شوارع أو غابات أو تكشف تقارير طبية مزيفة عن أسباب موته، والقصيدة عبارة عن طالب يدرس في كلية الطب وذهب ضحية لطبعه المتجسس فاخطفه رجال الأمن وبعد أيام عثر على جثته بأثر رفسات وجروح بندقية:

وبعد يوم واحد أفرج عن جثته بحالة أمنية:

في رأسه رفسة بندقية في صدره قنبلة بندقية في ظهره صورة بندقية^(٢)

(١) مطر، أحمد، لافتات ٥، قصيدة "هات العدل"، منتدى سور الأزيكية، لندن، ط ١٩٩٤م، ص: ٥٦

(٢) مطر، أحمد، لافتات ٢، قصيدة "الطب يضر بصحتك"، ص: ١٩

غير أن التقرير الذي أصدر من المستشفى كان يرفض هذا الواقع وكان ينص على أنه مات بسبب سكتة قلبية. وعلى هذا المنوال ذهب المئات والآلاف ضحايا للجرائم التي ترتكبها الهيئات الأمنية وظلت أهات المنكوبين تذهب سدى دون صدق. ومن تلك القضايا قساوة الأحوال التي ذاقها اللاجئون والمتشردون بسبب قهر الاستبداد فضاقت عليهم الأرض بما رحبت. وأشد ما يتأثر بالاستبداد ممن يتأثر به طبقات العمال والفلاحين والفقراء فجاء في شعر مقاومة الاستبداد تفصيل وفيه لمآسيهم. وصف الشاعر هاشم الرفاعي مشاعرهم أدق وصف في قصيدتيه، أحدهما "غرام لاجئ" وثانيهما "وصية لاجئ" وهي عبارة عن خلجات لاجئ متشرد، يقول:

مأساتنا مأساة ناس أبرياء
وحكاية يغلي بأسطرها شقاء
حملت إلى الآفاق رائحة الدماء
وجرمي كانت محاولة البقاء^(١)

وتجلت معاناة اللاجئين والمنفيين عند شعراء المقاومة في قصائد متعددة، فمثلاً قصيدة (بن باس) لأحمد فراز عبارة عن حكاية شاعر حظي بالعودة إلى وطنه الحبيب بعد ما عانى عذاب الغربة فترة طويلة فمشى يسافر إلى الوطن ولما اقترب من البوابة المركزية الداخلية إذا بما حراس البنادق والرماح خاطبوا نغمته بسلاحهم، وما أوسع الفجوة بين وعي الشاعر ذي النغمة الهادئة والحراس أولي السلاح الشوكي، أنكروه ولم يصغوا إلى استئذان الشاعر الذي تمنى أن يدخل باب المدينة فكان نصيبه أن يتيه بجسده الممزق ونفسه الملتاعة وروحه الجريحة في الصحاري والغابات:

میں اپنے جسم کا ملہ ساز کا لاشہ اپنے شہر کے شہ
دروازے کی دہلیز پہ چھوڑ کے پھر انجانے
شہروں کی شاہراہوں پر مجبور سفر ہوں^(٢)

أي: "انخالت على تلك الرماح المسددة فحطمت نغماتي، إلا أن دمي المتقطر ونغماتي التي تمن دخلت المدينة من دهليز البوابة أما أنا فتركت مخلفات جسدي وجثة نغماتي على دهليز البوابة المركزية واضطرت إلى بدء رحلة نحو مدن

(١) الرفاعي، ديوان الرفاعي، قصيدة "ثروة"، ديوان الرفاعي، ص: ٣٤٥

(٢) فراز، أحمد، ديوان "بے آواز گلی کوچوں میں"، (في طرقات صامتة)، قصيدة "بن باس" (بلا رائحة)، دوست پبلی

کیشنز، اسلام آباد، ط ٢٠١٠م، ص: ٢٢

غیر معلومہ"۔

وكان الشاعر أحمد فراز وصف في قصيدة "الجوهرى" حالة بؤس الفقراء وكيفية اضطرابهم وعجزهم الذي يعيشونها كما تكشف الستار عن تلك الطبقات الظالمة التي يستغلون بؤسهم لمصالحها المادية والمالية، لا يحدث ذلك إلا بسبب فقرهم واحتياجهم:

مجھ پر روشن ہے کہ اس جنس گرانمایہ کو
میرے افلاس نے کم نرخ بنا رکھا ہے
دیکھ کر میری نگاہوں میں طلب کی شدت
تو نے انصاف کو نیلام چڑھا رکھا ہے^(۱)

أي: "أعلم أن فقري هو الذي خفض سعر هذا الجنس الفريد، وأعرف أن شدة الاضطراب الذي يلوح في عيني منحك فرصة لتهدر دم العدل".

والشاعر حبيب جالب في قصيدته المعنونة بـ "الرقص" يتعاطف مع راقصة استدعيت للرقص أمام رئيس ضيف جاء لزيارة باكستان آنذاك، فأبت بأن تفعل هذا فجيء بها وهي مغلولة وأجبرت على الرقص أمام الحضور، صورت القصيدة تصويراً مؤلماً ومؤثراً في وقت واحد ورسمت لنا مدى الشقاء التي تعاني منها المرأة في أحيان كثيرة ومدى العجز الذي تعيشه وما أصدق تعبيره إذ قال:

تو کہ ناواقف آداب غلامی ہے ابھی
رقص زنجیر پہن کر بھی کیا جاتا ہے^(۲)

أي: "جهلت آداب العبودية، فإنه بالإمكان الرقص مقيداً بالأغلال والقيود".

النوع الثاني: الموضوعات والقضايا المتعلقة بالقوة المستبدة

والنوع الثاني من الشعر المقاوم هو تلك الموضوعات والقضايا التي تتعلق بالقوة المستبدة كانت فرداً أو طائفة كالجيش المحتل المستبد أو أسر معينة تحكم رقاب الشعب كله، أو طبقات معينة كاضطهاد طبقة البراهمة في الهند، وما يشترك فيه مستبد كل عصر ومصر هو أنه أول ما يسعى إليه هو الاصطباغ بصبغة شرعية ليكتسب قدسية شرعية في قلوب الجماهير فيعتبر الانقياد لأوامره طاعة لله والاختلاف عنه

(۱) فراز، أحمد، ديوان "تنہا تنہا"، (وحيدا منعزلا)، قصيدة "صراف" (الجوهرى)، دوست پبلی کیشنز، اسلام آباد،

ط ۱۹۹۸م، ص: ۸۴

(۲) جالب، حبيب، ديوان حبيب جالب، قصيدة "نیلو" (نیلو)، ماورا بکس، لاہور، ۲۰۰۵م، ص: ۲۰۳

معصية للخالق الجبار، وقد يزداد الأمر سوءاً فيدعى المستبد مرتبة الألوهية ودرجة الربوبية، ويظن الشعب أن حياته رهينة بوجود الحاكم لو لاه لفقد الشعب وجوده، يقول الزبيدي:

وهو روح في الشعب لو تهجر الشعب
تلاشى كجيفة وتبـدد
وهو الدين والشرعة لو فارقه
شعبنا لألحد وارتد^(١)

ويقترّب منهم لفظاً ومعنى حبيب جالب الذي عبر الإفلاس الفكري لدى الشعب الذي يؤمن بأن بقاءه مناط ببقاء الحاكم، يقول جالب:

تو خدا کا نور ہے
عقل ہے شعور ہے
قوم تیرے ساتھ ہے
تیری ہی وجود سے
ملک کی نجات ہے
تو ہے مہر صبح نو
تیرے بعد رات ہے^(٢)

أي: "أنت نور الله، وأنت العقل والفكر. والشعب معك. ولا بقاء للبلد إلا

بك. أنت الصبح المبتسم، ولا شيء بعدك إلا الليل".

وفي العصر الاستبدادي تتركز السلطة والثروة والنفوذ في أسر معدودة فيصبح الملك رهنا لديها يتوارثه جيل بعد جيل دون أن يكون لبقية الشعب أدنى حق في تقرير مصيرهم إلى درجة أن الملك يصبح حقاً أساسياً لهذه الأسر فتعامل بقية الخلق معاملة الرق والعبودية، ولا يكون هذا الارتكاز سياسياً فحسب بل يكون اقتصادياً واجتماعياً وقد يكون دينياً أيضاً. وهذه مأساة متكررة بأشكالها الشتى في كل بلد، ونجد أصوات شعراء مقاومة الاستبداد قد تشابهت في هذه القضية، فالشاعر الزبيدي الذي يشكو من الحكم الإرثي ومن أن صبية صغاراً للأسر الحاكمة تخز لهم جباه الكبار الكرام ساجدين إذ يقول:

منذ كانوا أجنة فهم إما

(١) الزبيدي، ديوان الزبيدي، قصيدة "كفر وإيمان"، ص: ١٠٨

(٢) جالب، ديوان جالب، قصيدة "مشير" (المستشار)، ص: ١٤١

ملوکُ أو أولیاء عہود

یَرثون الشعب إرثاً رَخیصاً

دون کد وُدُون بَذَلِ جُهود^(۱)

والشاعر أحمد فراز یصور معاناة الطبقات البائسة علی أیدی هذه الأسر الحاكمة قائلاً:

میں نہ سو ہزار نہ لاکھ ہیں پورے آٹھ کروڑ

اتنے انسانوں پر لیکن چند افراد کا زور

مزدور اور کسان کے حق پر جھپٹیں کالے چور

اے بھوکی مخلوق^(۲)

أي: "أيها الخلق الجائع عجباً أمرك، ليس مئات وآلاف، بل عددك ثمانون

مليون نسمة ورغم ذلك أرى طائفة صغيرة تسلطت على هذا الجمع من الناس وأرى

قطاع الطرق ينهبون أموال العمال والفلاحين".

ويوافقه صوت حبيب جالب الذي يشكو تسلط عشرين أسرة على رقاب الملايين من الناس

منذ عصور طويلة وهم يعيشون تحت وطأة ظلمها يائسين من تغير الوضع، يقول:

میں گھرانے ہیں آباد-اور کروڑوں ہیں ناشاد

آج بھی ہم پر جاری ہے-کالی صدیوں کی بے

داد^(۳)

أي: "أصاب الرخاء عشرين أسرة وحرم مئات الآلاف، ما زلنا

نعيش في ليلة تغشانا من قرون سوداء".

ولعل الرفاعي يشبه أحمد فراز وفراز جالب اللذين يشكوان سيطرة القلة المتمثلة في الآلاف على

الأغلبية المتمثلة في الملايين، إذ قال:

قد أغمضَ القومُ أجفاناً مَقَرَّحَةً

على الهوان وإن كانوا دَوِي عَدَد^(۴)

(۱) الزبيري، ديوان الزبيري، قصيدة "من أحرار اليمن إلى أحرار العراق" ص: ۲۱۶ و ۲۱۷

(۲) فراز، أحمد، ديوان "تہا تہا"، (وحيدا منعزلاً)، قصيدة "اے بھوکی مخلوق" (أيها الخلق الجائع)، ص: ۵۹

(۳) جالب، ديوان جالب، قصيدة "بیس گھرانے" (عشرون أسرة)، ص: ۱۳۷

(۴) الرفاعي، ديوان الرفاعي، قصيدة "جمال رئيس الجمهورية"، ديوان الرفاعي، ص: ۴۱۶

النوع الثالث: ما يتعلق بالقوات المساعدة للاستبداد

والنوع الثالث من الشعر العربي المقاوم يضم تلك الموضوعات والقضايا التي تتعلق بالقوات التي تمد الاستبداد بعونها وهي متمثلة في أفراد وجماعات وطبقات ودول، فمزق الشعراء النقاب عن وجوه أفراد وشخصيات حالفت الاستبداد غدرا بالشعب والوطن. ووصف الشعراء المقاومون الدور المذموم الذي لعبته أحزاب سياسية أو طبقات معينة كالصحفيين والساسة والإعلاميين والدبلوماسيين وحتى بعض الأدباء والشعراء. لم يغفل الشعراء عن كشف الصلة القوية بين الدول المستعمرة والاستبداد المحلي. كشف الشاعر هاشم الرفاعي عن حقيقة البرلمان الذي ليس من دوره إلا التصفيق لكلمات الحاكم المستبد والإشادة بكل ما يقول ويفعل، يقول:

هَاهُمْ كَمَا تَهْوَى - فَحَرَّكْهُمْ - دُمَى

لَا يَفْتَحُونَ بَغِيرَ مَا تَهْوَى فَمَا

إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّهُمْ قَدْ جُمِعُوا

لِيُصَيَّقُوا إِنْ شِئْتَ أَنْ تَكَلِّمَ^(١)

وكان حبيب جالب شديد الرفض للدستور الذي أتى به الجنرال أيوب خان وقال قصيدة رائعة باسم "الدستور" ذهبت أشعاره هتافات شعبية في الشوارع واضطرت الحكومة إلى التنازل عن تنفيذه، ومما جاء فيها:

دِپ جس کا محلات میں ہی چلے

چند لوگوں کی خوشیوں کو لے کر چلے

وہ جو سائے کے ہر مصلحت میں پلے

ایسے دستور کو صبح بے نور کو

میں نہیں مانتا میں نہیں جانتا^(٢)

أي: "أرفض هذا الدستور ولن أقبله لأنه لا يضيء بنوره إلا بعض القصور

ولا ينمو إلا تحت ظلال مصالح خاصة معينة تخدم طائفة معينة".

وليست الدساتير كما يرى أحمد مطر سوى وسيلة لإشباع رغبات المستبدين وإخفاء جرائمهم،

يقول: أي قيمة للقوانين العظيمة وهي قفاز حريري لذي الكف الأثيمة وأداة للجريمة^(٣)

(١) المرجع السابق، ص ٤١٨

(٢) جالب، ديوان جالب، قصيدة "دستور" (الدستور)، ص: ١٢٩

(٣) مطر، أحمد، لافتات ٤، قصيدة "تحت الصفر"، متندى سور الأزيكية، لندن، ط ١٩٩٢م، ص: ٥٨

ويتصدى الزبيري لمثل هؤلاء الذين يقفون مع الاستبداد مساندين له وييدي كراهته لمثل هذه الطائفة، ويرر الدين الذين يستغلونه لتحليل ما حرمه الله فيركل بحجهم إذ يقول:

ليس في الدين أن نكون بلا رأي

ولا عزة ولا حريه

وعدو الجميع من يحكم الشعب

باسم القداسة العائليه^(١)

النوع الرابع: الموضوعات والقضايا المتعلقة بالشعوب التي تعاني مأساة الاستبداد

والنوع الرابع والأخير من الشعر المقاوم يشمل الموضوعات والقضايا التي تتعلق بالشعوب المسكينة التي تعاني مأساة الاستبداد لحقبة قصيرة أو طويلة، ويكشف جوانب عديدة لمدى مسئولية الشعوب نفسها في جر وبال الاستبداد على نفسها، ودورها في إطالة الحكم الاستبدادي لتقاعدتها عن تغيير وضعها إما بسبب ارتضاءها به طمعا في مصالح مؤقتة أو خوفا من بطشة المستبدين أو منخدعا بظاهر الأمور، ويشمل ذلك النوع تلك الموضوعات التي ترشد الشعوب نحو الحرية وتنفع فيها نارا وتمنحهم نورا. فأشد ما تأذى الشعراء به هو التزام الشعب بالسكوت وتحمله المظالم، ويعالج الشعراء الأسباب النفسية لتقاعد الشعب عن تغيير الوضع المؤلم الذي يعيشه، وارتضاء الشعب بالاستبداد يمر من عدة مراحل، قد يتنازل الشعب عن حق الحرية خوفا من بطش المستبد وقد ينخدع بسياسته اللماعة، وقد يلعب بحقوقهم بحجة دينية فلا يجرؤ الشعب على النيل منه، وأبشع مرحلة تلك التي يموت فيها شعور الشعب بالحرية ويؤمن بأن استعباده قدر من الله.

نخشى سيوف الظلم وهي كليله

ونقدس الأصنام وهي حطام

وتذل أمتنا، لفرد واحد

لا تُستفاد لمثله الأنعام^(٢)

وقد يتكاسل الشعب نفسه في نزع حقه من برثن الظالم الذي يزيده تكاسله جرأة اغتصاب حقه، ويسخر الشاعر جالب بهذه الحالة، يقول:

(١) الزبيري، ديوان الزبيري، قصيدة "خطبة الموت"، ص: ١٤٨

(٢) المرجع السابق ص: ٢٩٨

نہیں حق چھینتے ہم غاصبوں سے
مقدر میں ہے ہر ذلت یونہی تو^(۱)

أي: "يكتب لنا الذل عندما لا نحاول نزع حقنا من الغاصبين".

والشاعر المصري هاشم الرفاعي متحير - كغيره من الشعراء - بأمر شعبه الذي رغم ما يئن من
آلام الحكم الاستبدادي لا يسعى لتغيير الوضع فكأنه ألف الحياة ذليلاً، يقول الرفاعي:

مال بآل شُعْبِ النيل أضْحى هادِثاً
أُتْراه قد أَلَفَ الحِياةَ ذَلِلاً^(۲)

وكذلك يوجه الشاعر اليمني شكواه إلى الشعب الذي آمن بعبودية الإمام وأتباعه

عمى وبكما:

رضينا بأننا عبيد الإمام

وإننا كما شاء عمي وصم

نكبل أقدامنا بالقيود

ونعقل أفواهنا باللجم^(۳)

فلا يستحق اللوم من يرتكب الظلم

ومن يتحمل المظالم فحسب بل

يستحق من سكت عنها كذلك

وأغمض عينيه عنه لأغراض شخصية

أو سياسية وغيرهما، والشاعر أحمد فراز

في قصيدة "ويت نام" يسجل صرخته

الاحتجاجية ضد العالم المتحضر

الساكت عن مظاهر الاستبداد والجور،

يقول:

اے مہذب جہاں کی مخلوق

کل ترے روبرو یہی بے ضمیر قاتل

(۱) جالب، ديوان جالب، من قصيدة بلا عنوان، ص: ۲۷۷

(۲) الرفاعي، ديوان الرفاعي، قصيدة "جهاد ضائع"، ص: ۱۴۰

(۳) الزبيدي، ديوان الزبيدي، قصيدة "لا تحرقونا بنارك"، ص: ۱۱۳

ترے قبیلے کے بے گناہوں کو
جب تہہ تیغ کر رہا تھا
تو تماشاخیوں کی صورت
نموش و بے حس
درنگی کے مظاہرے میں شریک
کیوں دیکھتی رہی ہے^(۱)

أي: "يا خلق العالم المتمدن، أين كنت عندما كان هذا القاتل يقتل بني
عشيرتك وكنت تشاهد هذه المجزرة صامتا جامدا بل مشاركا إياه في وحشيته".
ويدي فيض أسفه على سكوت الناس ورضاهم بحياة الذل والهوان ويسألهم إلى متى
يستمر هذا الخنوع لأوامر الظلم، يقول في قصيدة "أنشودة":

اے ظلم کے ماتو لب کھولو، چپ رہنے والو چب کب تک
کچھ حشر تو ان سے اٹھے گا، کچھ دور تو نالے جائیں گے^(۲)

أي: "وأياها المضطهدون حركوا شفاهكم، وأياها الصامتون إلى متى
سكوتكم. فكلامكم سيحدث قيامة وسيسمع دويه في الآفاق".

وقد ينتاب الشعراء العرب والأردنيين شعور بالاختناق في أجواء الوطن ويتجلى لهم وجه قبيح
دون وجهه الجميل الذي يألّفونه ويتناهم ذلك بعد ما يطول الليل وتشتد الظلمات وبعد ما يتحول الوطن
الحبيب إلى مجزرة الأبرياء والشرفاء والأحرار، نرى الرفاعي الذي عنون قصيدة من قصائده بـ "مصر
الجريحة"، يقول:

لا مِصرُ داري ولا هذي الرُّبى بَلْ دِي
إني من الحق فيها قد نفضتُ يدي^(۳)

ويشبهه أحمد مطر وقد انتابه شعور الاكتئاب بالوضع القاسي الذي يعيشه هو والآخرين على
أرض الوطن، فلم يعد يألف الديار بعد هذا الدمار، يقول:

(۱) فراز، أحمد، ديوان "نايافت" (المعدوم)، قصيدة "ويت نام" (ويت نام)، دوست پبلی کیشنز، اسلام آباد، ط ۲۰۱۰،

ص: ۱۱۷

(۲) فيض، فيض أحمد، ديوان "دست صبا" (يد الصبا)، قصيدة "ترانه" (أنشودة)، مكتبه كاروان، لاہور، بدون سنة

الطبع، ص: ۳۸

(۳) الرفاعي، ديوان الرفاعي، قصيدة "جمال رئيس الجمهورية"، ص: ۴۱۶

إن لم يكن بنا كريما آمنا

ولم يكن محترما

ولم يكن حرا

فلا عشنا

ولا عاشَ الوَطَنُ^(١)

ويدي فراز اكتنابه من تكدر العيش في مدينته الحبيبة والتي صارت مقبرة لجثث دون ورثة:

سارا شهر ہے مردہ خانہ
کون اس بھید کو جانے گا^(٢)

كما يستثقل أحمد المطر العيش في الوطن ويعتبر الموت أهون منه، يقول:

الإعدامُ أَحْفُ عِقَابُ

يَتَلَقَّاهُ الْفَرْدُ الْعَرَبِيُّ

أ هُنَاكَ أَقْسَى مِنْ هَذَا؟

طبعاً

فَالْأَقْسَى مِنْ هَذَا

أَنْ يَخِيَا فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ^(٣)

خامساً: بعض خصائص شعر المقاومة

ويتميز شعر مقاومة الاستبداد بالصدق الفني وقد دفع أصحاب هذه الكلمة الصادقة من ثمن كبير من أجل صدق موقفهم بشكل الضرب والقتل والنفي والاعتقال والأسر وغيره من ألوان التعذيب والتخويف، فشخصية الشاعر متحدية قهر المستبد لا تقل عن شخصية البطل في الأساطير والأفلام، فيه يقابلنا الشاعر وهو يستقبل الرصاص على صدره ويتلقى السياط على ظهره ويواجه مظالم الشرطة على الشوارع ويتحمل أبشع أنواع التعذيب في السجون والمعتقلات ويؤسر ويشرد ويضرب ويجلد، يقصف فكره ويسجن لفظه دون أن يتزعزع أو يتنازل عن موقفه، أو تنبس شفاته بأهة قد تمنح الطاغية المستبد لحظة سرور، وبذلك يمكن الحكم بأن أدب مقاومة الاستبداد هو أدب صدق وجراة ورسالة ويلائم الطبيعة

(١) مطر، أحمد، لافتات ٣، قصيدة "يقط الوطن"، منتدى سور الأزيكية، لندن، ط ١٩٨٩م، ص: ١١٥

(٢) فراز، أحمد، "بے آواز گلی کوچوں میں" (في طرقات صامتة) قصيدة (المدينة المتدمرة) "شهر آشوب"، دوست پبلی

كيشنر، اسلام آباد، ط ٢٠١٠م، ص: ١١٢

(٣) مطر، أحمد، لافتات ٦، قصيدة "أقسى من الإعدام"، منتدى سور الأزيكية، لندن، ط ١٩٩٦م، ص: ١٣٩

الإسلامية التي تؤمن برفع كلمة الحق بدون خوف اللاتمين. فمن المعاني المشتركة والمتكررة بكثرة في شعر المقاومة أن الشعراء أدركوا أتم الإدراك بأن ما يميزهم من بقية صفتهم هو موقفهم الحق العادل المقسط ولهجتهم الصارخة الجريئة المخلصة فلو أصابهم شيء من الفتور في أداء فريضة أو غلبتهم نزعة طمع لفقدوا هويتهم ودفنوا في كتب الأدب دون أن يذكر لهم أثر، فينفون أي إمكانية للتنازل عن لهجتهم الصريحة مهما كان ثمنها، فإذا كان صدق مقاله مبعث الافتخار لأحمد فراز الذي قال:

دیکھو تو بیاض شعر مرے
اک حرف بھی سرنگوں نہیں ہے^(۱)

أي: "دقق النظر في ديوان شعري لن تجد فيه حرفا واحدا مستسلما".

فصدق الشعر بمثابة حياة الشعر وأن يشوبه زيغ فكري بمثابة قتله، يقول الرفاعي:

فقلت: فكّرِي، إحسّاسِي... أَ أَقْتُلُهُ؟
هَذَا الَّذِي لَمْ يَدُرْ يَا قَوْمِ فِي خُلْدِي^(۲)

ومثلهما الشاعر الأردني جالب الذي يدرك أن الحب الشعبي الذي يلقاه ليس إلا بسبب ثروته الفكرية ولهجته الثورية:

ہر پھول کے لب پر نام مرا چرچا ہے چمن میں عام مرا
شہرت کی یہ دولت کیا کم ہے گر پاس نہیں مال تو کیا^(۳)

وأغلى ما يملكه الشاعر — في رأي الشاعر فراز — هو حرمة القلم وهو الذي يدافع عنها رافضا كل العروض بشكل المناصب والأموال والصلوات:

ہمیں نہ حرص حشم، نہ مال و منال کی آرزو رہی ہے
نہ ہم کو طبل و علم نہ جاہ و جلال کی جستجو رہی ہے
بس اک قلم ہے کہ جس کی ناموس
ہم فقیروں کا کل اثاثہ ہے آبرو ہے

أي: "لسنا من يطمع في المناصب والأموال ويحرص حرصه لينال علما و حشما. بل نحن فقراء لا يملكون من الأثاث والمتاع غير حرمة أقلامهم. ولا نملك غير

(۱) فراز، أحمد، ديوان "في طرقات صامئة" (بے آواز گلی کوچوں میں)، قصيدة (أناشيدك أغنى يا وطني) "اے شہر

میں تیرا نغمہ گر ہوں"، ص: ۴۴

(۲) الرفاعي، ديوان الرفاعي، قصيدة "جمال رئيس الجمهورية"، ص: ۱۷

(۳) جالب، ديوان جالب، قصيدة بدون عنوان، ص: ۴۴

الصدق، فهو ملكنا الوحيد".

فالصدق هو المتاع الحقيقي الذي يكسب الشعر الحر خلودا وبقاء عديمي النظير، ولولا الصدق لفقد الشاعر احترامه وفقد شعره قيمته، والشاعر يجدد وفاءه بصدق رسالته وحرمة قلمه. وجرأة الشعراء - وأحمد مطر واحد منهم- منبعها صدق المقال، ولذلك لا يرى نفسه فردا عاديا، بل إنه واحد ممن انضم إلى القافلة الحسينية في ميدان كربلاء، يقول:

لست أهتم - بمن كان معي أو كان ضدي
لست أهتم بمن أترك بعدى - لست أهتم بمن يكي دموعا
أو بمن يكي دماء - ليس عندي غير هم واحد
أن أسبق الموت إلى العيش - فأغدو من ضحايا كربلاء^(١)

والشاعر يملك سلاحه بشكل القلم وهو أداة صدق ومنازة نور ومنبع الحق وهو الذي يضمن للشاعر وشعره بقاء وخلودا:

قلم سے عہد وفا کیا ہے - قلم تو پھر سچ بولتا ہے
اٹھاؤ آنکھیں کہ سچ امر ہے - قلم کا وجدان معتبر ہے^(٢)

أي: "عقدنا عهد الوفاء بأقلامنا، لأن القلم لا يعبر إلا عن الصدق، ولن يخذلك القلم أبدا والصدق هو الحق فاجهر به معتزا فخورا".

ومن ميزة هذا الأدب جماله وصموده، فهو أدب اكتسب الخلود والبقاء فيصلح لكل زمان ومكان، لأن المأساة تتكرر بنفس الشكل والرسالة تظهر بنفس القوة. وعلى سبيل المثال، القصائد الأردنية التي قيلت في العهود الديكتاتورية في سبعينيات وثمانينيات من القرن العشرين لا تزال تصلح وتلائم يومنا وساعتنا، وتروى وتنشد بنفس القوة وبنفس الشوق. وشعر مقاومة الاستبداد - إضافة إلى كونه شعرا جميلا - شعر تعليمي وتربوي وملتمز يحمل رسالة سامية ويحرض الإنسان على مواجهة النظام المحتل وقمع جذور الاستبداد والنهوض للتغيير والثقة بالنفس وبعده عن اليأس والحمول ويحيي في قلبه المتمزق نار الحياة ويريه في ظلمات الليل بصيص الأمل.

ومن أهم سمات شعر مقاومة الاستبداد باللغتين العربية والأردنية أنه يتسم بالبساطة المصحوبة

(١) مطر، أحمد، لافتات ٣، قصيدة "الاختيار"، منتدى سور الأزيكية، لندن، ط ١٩٨٩م، ص: ١٠٣

(٢) فراز، أحمد، ديوان "في طرقات صامته" (بے آواز گلی کوچوں میں)، قصيدة (وجهه هشوش عيون حية) "ندیم چہرہ، ندیم آنکھیں"، ص: ٥٠

بعمق التجربة الشعرية وصدقها، ويقدر يفسر ذلك بأنه شعر يخاطب العامة والجمهور، لأن الظروف القاسية لم تعد تصلح لتقبل شعرا يغلبه اللون الرمزي أو الفلسفي، و"جوهر الشعر ليس في شكله الخارجي من وزن وقافية وألفاظ خاصة أو موضوعات خاصة، وإنما هو في التجربة الروحية التي تمر بنفس الشاعر، ولا بأس أن تكتب هذه التجربة في لغتها الحقيقية أو قل في لغة بسيطة كتلك التي يتفاهم بها أفراد الشعب"^(١)، فيجد الدارس شعراء المقاومة جميعا يعبرون عن معان سامية ومبادئ راقية بعبارات في غاية البساطة ذهبت شعارات وهتافات دون أن يخل ذلك بال، فانظر إلى قول الشاعر حبيب جالب وهو يشرح الحق الإنساني الأساسي، يقول:

بات بيكي ہے بنیادی
لوگوں کو ہو آزادی^(٢)

وانظر إلى الشاعر الزبيري وهو يكشف عن مظاهر الرخاء المؤقتة في عهد الاستبداد ويرفض كل أنواع العروض والمغريات رفضا تاما، يقول:

ولیس یجـدی دینـیا، آن حفرتـه
مزدانـة طفحـت بالعطر والعود^(٣)

الخاتمة

اقتربت المقاومة الشعرية العربية والأردنية للاستبداد من أرض الواقع وعالم الحقائق وعقلية المواطن العادي دون أن يتيه في وادي الخيال البعيد وأفلاك الفكر الغامض، كل ذلك بلغة سهلة سلسلة مع عمق معنوي وفكري بعيدا عن التلاعب بالألفاظ والتشديد بعبارات مليئة بالمفردات النادرة غير المألوفة، ولم يقتصر الشاعر وهو يقاوم الاستبداد على دوره فحسب، بل تراه يفكر ويرشد ويقاوم ويدبر، يتحدى ويصلح ويخطب ويثور، وبذلك يتجلى الشاعر جنديا بأسلا يقاتل في أول الصفوف، قائدا يقود الركب مستعدا لاستقبال الرصاص على صدره، وخطيبا يثور ثورة علنية وواعظا يثير همم الضعفاء والمظلومين وطببيا يعالج جروح الجرحى ببلسم شعري ومفكرا يشخص داء الأمة ليخرجها من مأزقها، وإلى هذا النوع من الشعراء يرجع الفضل في إشعال نار الثورة وإخراج الشعر المأسور في بؤس القصور وتقريبه إلى الشعب وزيادة في منح هذا اللون صبغة شعبية حرة ونستطيع أن نقول - دون تعسف - أن فن الشعر الحديث لم

(١) ضيف، دكتور شوقي، دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة العاشرة،

ص: ١٩٧ و ١٩٨

(٢) جالب، ديوان جالب، قصيدة "ماذا تعني باكستان" (باكستان كا مطلب كيا)، ديوان جالب، ص: ١٦٢

(٣) الزبيري، ديوان الزبيري، قصيدة إلى الشهيد الموشكي، ص: ٢٨٨

يعد وسيلة لهو وأداة تسلية للحكام، فالحاجة ماسة إلى دراسة كل شاعر مقاوم بالتفصيل وما يزرع شعره من أفكار ومضامين وما يتسم به من صفات وخصائص، وتوفر هذه المادة مجالا واسعا للباحثين ليقوموا بدراساتها الأدبية والنقدية، كما يجب ترجمة هذه الأعمال إلى لغات مختلفة.

نتائج البحث

١. لم يسهم في مقاومة الاستبداد شعراء تيار معين أو اتجاه خاص بل كانت القضية تخص الجميع بغض النظر عن انتمائهم النظري والعربي واللساني، وغلبت شعر المقاومة نزعة إنسانية عالمية وكذلك كان الدافع لمقاومة الاستبداد مشتركا بين سائر الشعراء، فلم يك هذا الشعر هجاء محضا نتيجة حرمان شخصي أو حقد ذاتي دفع صاحبه إلى الانتقام بل كانت ثورة فطرية بدافع حب الحق والعدل وكان رد فعل مساو لمظاهر الظلم والقسر في المجتمع.
٢. اتسمت حياة شعراء مقاومة الاستبداد بالكفاح والنضال والتضحية والثبات وبذلك تجلّى الصدق الموضوعي بكل قوته في مقاومتهم الشعرية للاستبداد.
٣. رسالة المقاومة تستهدف القوة المستبدة والشعوب التي تعاني الاستبداد معا، فهي تزخر بموضوعات وقضايا تكشف الوجه الحقيقي للقوة المستبدة وتمزق نقابها مشخصة أسباب بداية داء الاستبداد وانتشاره ومجلية تقصير الشعوب نفسها الذي أدى إلى تقوية دعائم الاستبداد، ولم يظعن شعراء المقاومة برواحهم الشعرية في صدور المستبدين والطغاة فحسب بل كشفوا عمن يسانده من أفراد وأحزاب وطبقات ودول.
٤. حرية الشعب هي الدرة المفقودة المسلوقة التي سعى شعراء المقاومة التي من أجل اكتشافها واستعادتها، الحرية التي تمنح حياة الفرد والمجتمع شرفا وكرامة وبفقدانها يفقدان الأمل في العيش والسعي من أجل التحسن والتقدم.

